من أهداف الهجرة إلى الحبشة

الأول: حماية العقيدة:

لقد تعرض الصحابة رضي الله عنهم صنوفاً من العذاب وتحملوا أنواعاً من المعاناة كالحبس والتجويع، وكل أنواع الإهانة والإذلال كما ذاقوا مرارة السخرية والاستهزاء، وحدث كل ما حدث بسبب إيمانهم برسول الله ﷺ، وضحوا بكلّ غال ورخيص بسببه، وهانت عليهم أنفسهم في سبيل الله، ليحافظوا نقاء هذا الدين حتى لا تناله الأيدي العابثة، فكان الصبر سلاحهم الفتاك في فترة من عمر الدعوة غير قصير، فأذن الله لهم الهجرة إلى أرض الحبشة ليمارسوا عبادة الله عز وجل ويعلنوا التوحيد في أرض الله دعاة هداة، وهذه الهجرة هي إذاً لحماية العقيدة لتوفير جو من الأمن والسلام يرفع فيه راية «لا إله إلا الله محمد رسول الله» ليعبدوا الله وحده لا شريك له بعيداً عن طغيان المشركين وعصف الجاهلين وجبروت المشركين، وتلك هي الغاية السامية والأمل المرتقب الذي يسعى إليه الصحابة رضي الله عنهم في الفترة المكية.

انظر إلى موقف أبي بكر رضي الله عنه عند محاولته للهجرة إلى الحبشة!! كيف أنه ربط الهجرة بالعبادة وكأنها السبب الوحيد للهجرة.

قالت عائشة رضي الله عنها: «فلما ابتلى المسلمون، خرج أبو بكر رضي الله عنه مهاجراً نحو أرض الحبشة حتى بلغ برك الغماد لقيه ابن الدغنة، فقال: أين تريد يا أبا بكر؟ فقال أبو بكر: أخرجني قومي فأريد أن أسيح في الأرض وأعبد ربي...»[1].

(١) رواه البخاري، رقم الحديث ٣٩٠٥، المجلد السابع، فتح الباري، ص ٢٣١.

ففي هذا الحديث يتضح من كلام أبي بكر الصديق رضي الله عنه بأنه يبحث عن جو يتيح له حرية العبادة، إنه وأمثاله حرموا من هذا الحق الطبيعي للمؤمن وهذا أغلى ما يتمناه الإنسان المؤمن في حياته.

الثاني: حماية الأبدان والأعراض:

إن هذا الإنسان المكرم من قبل خالقه: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾[1]. له قيمة تتناسب مع هذا التكريم الرباني فلا ينبغي أبداً أن يتعرض للمهانة وأن يخضع لتصرفات المتسلطين، فلا ينبغي أبداً أن يستسلم هذا الإنسان للتعذيب البدني والنفسي ما دام يجد مخرجاً من محنته القاسية حتى يؤدي وظيفته التي خلق الإنسان لأجلها إذ يقول رب العالمين: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾.

فإن بقاء الإنسان تحت وطأة التعذيب والقهر فترة طويلة ربما يؤدي في نهاية الأمر إلى فقدان شخصيته وكرامته، وبالتالي لا يستطيع أن يؤدي الوظيفة التي وجد الإنسان لأجلها على الكوكب الأرضي، والإنسان لا بد أن يتوفر له مناخ يسود فيه الأمن والراحة النفسية التامة حتى يؤدي ما عليه من الواجبات فالله، سبحانه يأمر عباده أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً مقابل الإطعام والأمن وهما نعمتان كبيرتان يمنّ الله على عباده في سورة قريش إذ يقول عز وجل: ﴿فَلْيَعْبُدُوا۟ رَبَّ هَٰذَا ٱلْبَيْتِ ۝٣ ٱلَّذِىٓ أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَءَامَنَهُم مِّنْ خَوْفٍۢ﴾[2].

---

(١) سورة الإسراء، الآية ٧٠.

(٢) سورة قريش: الآيتان ٣ ـ ٤.

الثالث: مقاومة الطغيان:

فالهجرة وسيلة من وسائل المقاومة للطغيان وطريق لمواجهة القهر والتسلط على رقاب الناس، لأن رفض الظلم وعدم الخضوع للظالمين الطغاة أمر شرعي في غاية الأهمية ولا تستقيم الحياة الإنسانية ولا تنعم الشعوب إلا عندما تدرك تمام الإدراك عواقب الظلم ونتائج الاستسلام لرغبات المترفين، وتعلم أن العدل والإنصاف أمر يتطلب جهداً إذا أريد لشعب من الشعوب أن يعيش في أمن ورغد العيش، إن الطاعة العمياء والسير في ركاب المترفين أو التطبيل لزمرة تقود شعوبها إلى الهلاك المحقق بتصرفاتها الهوجاء غير مقبولة على الإطلاق أياً كانت الحجة التي يقدمها أصحابها لأن الإنسان يتحمل كافة التبعات الناجمة عن تصرفاته الاختيارية، ولهذا نجد أن الله وصف قوم فرعون بأنهم فاسقون بسبب طاعتهم لفرعون واتباعهم إياه وعدم مقاومة ظلمه وفجوره. إذ يقول عز وجل في هذا: ﴿فَٱسْتَخَفَّ قَوْمَهُۥ فَأَطَاعُوهُ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا فَٰسِقِينَ﴾[1].

لأن ذلك يعود النفس البشرية على المذلة ويفقدها الإحساس بالمسئولية والغيرة والانتفاضة من المظالم، بالإضافة إلى ذلك يسبب هذا تبلداً في شعوره وفقداناً لكرامته الإنسانية ومما تقتضيه الضرورة ويفرضه الإسلام ـ بشرط الاستطاعة ـ أن من لم يجد قوة لمحاربة الظلم والطغيان فلا أقل من أن يفارق الظالمين ويرفض الخضوع، والهجرة نوع من الجهاد في سبيل الله عز وجل لدحر الباطل، وإحقاق الحق، ولذلك نجد هجرات كثيرة في القرآن الكريم صدرت من رسل الله مثل إبراهيم وموسى ومحمد عليهم السلام.

الرابع: نشر الإسلام:

ما دام الهدف الأساسي من الهجرة لأجل الإسلام وفي سبيل الله فإن غاية المسلم نشر هذا الدين في أي أرض حل بها، فإن الإسلام لا يعرف

---

(١) سورة الزخرف: الآية ٥٤.

الحدود الضيقة والوطنية المحدودة والأنانية المفرطة إنه دين الله الذي جاء لهداية البشرية كل البشرية، ومن هنا نلاحظ كيف وقف الصحابة أمام كل المحاولات اليائسة التي بذلتها قريش لحصر الإسلام في مكة لكي يسهل ضربه وخنقه، ولقد حققت هذه الهجرة نصراً للإسلام إذ أسلم النجاشي وعدد من أصحابه على يدي جعفر قائد المهاجرين وإخوانه في أرض الحبشة.

وخلاصة القول في الفقرات السابقة هي أن الهجرة إلى الحبشة كانت بمثابة بحث عن الحريات الأساسية للإنسان مثل: حرية العبادة وممارسة الشعائر الدينية بمقتضى العقيدة والشريعة التي يؤمن بها الإنسان.

كما أن من حقوقه الأساسية أن ينعم بالأمن، حيث لا يتعرض للتعذيب البدني والنفسي وانتهاك أعراضه وحرماته أو نهب أمواله وممتلكاته الخاصة ولذلك شرع للإنسان أن يدافع عن نفسه وأن يقف ضد المعتدين لتحقيق الهدف النبيل وهو عبادة الله سبحانه وبدون ذلك لا يتحقق الاستخلاف على الوجه المطلوب.

والهجرة كانت محاولة جادة لإحقاق الحق الثابت للإنسان وإبطال الباطل الذي تروجه الجاهلية الرعناء والذي يتمثل فرض المعتقدات الجاهلية بالقوة والجبروت لا بالبرهان والدليل، لأن مصادرة الحريات الأساسية لهذا الإنسان، وممارسة أبشع صُوَر القهر والاستبداد ضد الإنسان المكرم وإجباره على اعتناق معتقدات فاسدة تتنافى مع الفطرة السليمة التي فطر الله الناس عليها وتتنافى وطبيعة تكوينه وخلقه كمخلوق مستقل ذي سيادة وإرادة ورغبة.

ولقد رفض الإسلام هذا السلوك المعوج بادىء ذي بدء حيث كفل للشعوب والأمم والأفراد والجماعات المختلفة في عقائدها ومذاهبها الفكرية حرية العقيدة أي أنها تستطيع أن تبقى مع عقيدتها مهما كان بعدها عن الإسلام، بل الإسلام يساعد كل الشعوب لكي تقف بنفسها أمام الحقائق دون أن يحول بينها وبين تلك الحقائق حائل، وبعد إزالة تلك الحجب الكثيفة التي يضرب بها الجاهلون حول الشعوب تتجلى معالم الطريق فعندها يقرر هذا الإنسان ما يشاء حول عقيدته أو الدخول في الإسلام. يقول الله عز وجل:

﴿ لَآ إِكْرَاهَ فِي ٱلدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَيِّ فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَا ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾[1].

ورغم أن الدعوة الإسلامية كانت في بداية أمرها سلميّة وديعة غير مسلحة بل لم يأذن الله للمؤمنين أن يجاهدوا ويدافعوا عن أنفسهم إلا أن المشركين قابلوهم بالعنف وحاولوا أن يفرضوا عليهم طوفان القهر المذل حتى لا يتمكنوا من عبادة ربهم ونشر الإسلام بين الناس، وكان أمراً مهماً أن تجد الدعوة الفتية متنفساً ومجالاً وأرضاً تتوفر فيها أسباب الأمن والراحة النفسية لا يضامون ولا يضطهدون بسبب عقيدتهم وعبادتهم، فأصبحت تلك الأرض بلاد الحبشة بأمرة أصحمة النجاشي (ملك الحبشة) الذي اشتهر بالعدل والإنصاف والعلم والإيمان بالتوراة والإنجيل بعيداً عن انحرافات النصارى وضلالاتهم، لا يقبل الظلم مهما تكن الظروف، بل يقف ضده في أحلك الظروف وأقساها، فبإذن الله ورسوله انطلق المهاجرون إلى الحبشة لتحقيق كل الأهداف التي ذكرناها وتكللت هجرتهم بالنجاح الباهر وخاب وخسر المتجبرون المستكبرون وضاعت جهودهم هباءً منثوراً.

---

(١) سورة البقرة: الآية ٢٥٦.